

شعر السموأل بمنظور البنيوية التكوينية

Al-Samawal poetry from the perspective of structuralism

نور الهدى ريازي

جامعة المنار (تونس)، riazinour1606@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/18

تاريخ القبول: 2023/06/10

تاريخ الاستلام: 2023/04/12

Abstract:

The configurational approach developed by Lucien Goldman is one of the modern approaches that has gained popularity in the critical arena, but it is known for its application to prose texts such as short stories and novels, with its applications to poetry being generally limited and almost non-existent for old poetry in particular. In this article, we seek to apply this approach to the literary work titled "Al-Samawalpoetry", relying on its mechanisms to reach a new understanding, with the "world vision" being the beating heart of this approach.

Key words: Configurational approach. Methodology. AlSamawal,,

المخلص:

يعد المنهج البنيوي التكويني الذي جاء به -لوسيان غولدمان- من المناهج الحديثة التي شهدت رواجاً في الساحة النقدية، ولكن هذا الأخير اشتهر بتطبيقه على النصوص النثرية كـ القصص والرواية وتقل تطبيقاته على الشعر عامة و منعدمة على الشعر القديم خاصة، وفي هذا المقال نسعى إلى تطبيق هذا المنهج على العمل الأدبي الموسوم بـ شعر السموأل -معتمدين على آلياته للوصول إلى فهم جديد، وتعتبر رؤية العالم- هي القلب النابض لهذا المنهج.

الكلمات المفتاحية: بنيوية ؛ تكوينية؛ منهج ؛ السموأل.

المؤلف المرسل: نور الهدى ريازي ، الإيميل: riazinour1606@gmail.com

1. مقدمة:

نشأت في العصر الحديث مجموعة من المناهج التي تعتمد على نظريات متنوعة, تسعى جميعها إلى دراسة النصوص الأدبية و تحليلها للوصول إلى نتائج مهمة. و تعد البنيوية التكوينية من المناهج النقدية الحديثة التي جاءت لتعيد للنص اعتباره بدون فصله عن علاقاته بالمجتمع و التاريخ و قد تعددت و اختلفت تطبيقاتها على الأعمال الأدبية . و لمعرفة البنيوية التكوينية إجرائيا و تطبيقيا اخترنا أن نحلل متن من متون أدبنا القديم التي يفترض أنها لم يخصص لها هامش من الدراسات الأدبية و النقدية وفق مناهج حديثة ومعاصرة كالمناهج البنيوية التكوينية ,وذلك للاستفادة من آليات منهج معاصر للتمكن من التطبيق وتكوين قاعدة نقدية .وقد وقع اختيارنا على هذا الشاعر -السموأل-لما يحمله شعره من قيم وحكم كانت كافية للوقوف عنده ورصد أفكاره ودراسته دراسة بنيوية تكوينية هادفة .

لذلك توالت أسئلة هذا البحث وفق مسار يهدف إلى فهم أهم المصطلحات والمبادئ التي يقوم عليها هذا المنهج الجديد الذي يسعى إلى رصد رؤى العالم في الأعمال الأدبية وهي :

ما المقصود بالبنيوية التكوينية؟ وما هي الأسس التي تقوم عليها؟ وما معنى رؤية العالم؟ والى أي مدى يمكن أن تتجسد في شعر سموأل؟ وهل انطلقت رؤيته حقا من مجتمعه؟ وما مدى استجابة شعر سموأل لأسئلة المنهج؟ وهل شعره يجسد وعيه لقضايا مجتمعه و تطلعاته ؟

1. مفهوم البنيوية التكوينية:

تعد البنيوية التكوينية فرعا من فروع البنيوية، فبعد كل السلبيات والنقائص والماخذ التي تعرض إليها المنهج البنيوي من خلال إقصائه للتاريخ وإهماله للبعد الاجتماعي للنص الأدبي، جاءت البنيوية التكوينية "Structuralisme génétique" مع منظرها " لوسيان غولدمان " " Lucien Goldman" لتدرس النص على أنه بنية وظيفية منفتحة على الخارج، فهو منهج سعى "غولدمان" من خلاله إلى إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري في خصوصيته دون أن يفصله عن علاقته بالمجتمع والتاريخ (فضل،

1928، صفحة 128)

فالبنيوية التكوينية لا تلغي العوامل الخارجية المرتبطة بالنص الأدبي فهدفها كمنهج هو «الوصول إلى المعنى التاريخي دون إغفال دور الفرد فيه» (غولدمان ١٠، 1986، صفحة 7)، وهذا ما يجعلها تحقق وحدة تكامل بين شكل النص الأدبي ومضمونه، فهي تنطلق من النص دون إقصاء ما ساهم به المجتمع في خلق الإبداع.

استهداف "غولدمان" من وراء بنيويته التكوينية «رصد رؤى العالم في الأعمال الأدبية الجيدة عبر عمليتي الفهم والتفسير» (غولدمان ل.، المنهجية في علم الاجتماع، 1981، صفحة 63).

فقد اهتم بدراسة بنية العمل الأدبي من خلال محاولته «تجاوز الآلية التي وقع فيها التحليل الاجتماعي التقليدي للأدب وذلك بتركيزه على بنية فكرية تتمثل في رؤية العالم». (عصفور، 1998، صفحة 108)

فالبنية عنده ليست مغلقة وإنما تتميز بالحيوية والتكوين وبناء على هذا فإن البنيوية التكوينية هي مقارنة سوسولوجية وظيفية تهدف إلى دراسة الظواهر الأدبية والفنية والثقافية فهما وتفسيراً، بغية رصد رؤى العالم من خلال عقد تماثل ضمنى بين الأدب والمجتمع مع استقراء الأوضاع الجدلية التي تحكمت في توليد البنية النصية الداخلية.

ويشير : غولدمان: إلى « أن العلاقة لا تتم بين محتوى الأعمال الأدبية ومحتوى الحياة الواقعية، بل بين البنية الذهنية لمجموعة اجتماعية معنية والبنية الكلية الدالة للعمل الفني أو الأدبي المبدع » (الحسيني، 2017، صفحة 14). وهذا ما يجعل البنيوية التكوينية تنظر إلى النص كوحدة متماسكة داخليا وإلى مكونات بنيته التي تربط النص بسياقه الخارجي ومع البنية الدالة على العمل الأدبي.

وتسعى البنيوية التكوينية إلى إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري في خصوصيته بدون أن يفصله عن علائقه بالمجتمع والتاريخ" (غولدمان ١٠، 1986، صفحة 7) فالمنهج التكويني الذي صوّره "غولدمان" لا يفصل العمل الأدبي عن المجتمع والتاريخ فهو لا يعزل بنية النص الداخلية عن مجموع المؤثرات الخارجية التي تربط بين بنية النص الداخلية ومدى تأثرها بالحياة الاجتماعية والتاريخية المحيطة به.

فاتخذ "غولدمان" من البنيوية التكوينية منهجا نقديا ينطلق من العمل الأدبي ذاته، مستعملا منهجية سوسولوجية وفلسفية لإضاءة البنيات الذّالة وتحديد مستويات إنتاج المعنى عبر أنماط من رؤية للعالم.

حيث تعد هذه الرؤية « صلب فكرة البنية التي تقاس بها الأعمال الأدبية عند غولدمان، وإذا كان الضمير الواقعي للجماعة إنما هو جملة الضمائر الفردية واتجاهاتها، فإنه يشمل أيضا إمكانيات الفكر والعمل في تشكيل البنية الاجتماعية والتأثير المتبادل فيما بينها». (الحسيني، 2017، صفحة 05) فالرؤية يعبر من خلالها المبدع عن طموحات الأفراد بالجماعة التي ينتمي إليها، فالمبدع من خلال نصوصه الإبداعية لا يعتبر صاحب هذه الرؤى بل هو مبرزها وموضعا فقط.

والاجتماعية في المنهج البنيوي التكويني "السوسولوجي" تختلف في مفهومها عما هي عليه في النقد الاجتماعي الذي يبحث في الأدب عن الواقع، أما البنيوية التكوينية تنظر إلى العمل الأدبي وإلى صلته بالواقع. إذ غاية البنيوية التكوينية هي إبراز العلاقة بين الأدب والمجتمع والتاريخ، «فالتفاعل أكيد وحتمي [...] وبينهما جدل حقيقي يعمق فيها هذا التفاعل، وينمي من خلاله الرؤية للعالم إذ النص الأدبي منتج للأديب، والأديب قائم في وسط اجتماعي» (رايس، 2002، صفحة 4) وعليه فالنص تعبير عن رؤية الجماعة التي ينتمي إليها المبدع سواء كان شاعرا أو روائيا، حيث يكمن دوره في إبراز هذه الرؤى وبلورتها في صورة ممكنة تعبر عن الواقع بطريقة أدق عن الحالة التي يصورها الأديب أو المبدع.

و تعد أعمال "لوسيان غولدمان" من أهم الدراسات التي مهدت لتأصيل المنهج البنيوي التكويني، ويتمثل هذا في كتابه المعنون بـ "الإله الخفي" " Le Dieu Cache"، «حيث يعد من أهم الأعمال الكاشفة عن رؤية العالم التي تشكل واقعا اجتماعيا». (غولدمان ل.، 2010، صفحة 11)

فالإله الخفي من أهم النماذج التطبيقية السوسولوجية على الأدب، ومن خلال هذا فالبنيوية التكوينية التي نادى بها (غولدمان) تسعى إلى تحقيق وحدة تكامل بين الشكل والمضمون، أي بين المبدع والمجتمع.

2. المفاهيم الإجرائية للبنيوية التكوينية:

قامت البنيوية التكوينية في مقاربتها للنصوص الأدبية على مجموعة من المفاهيم الإجرائية لتحليل النصوص الأدبية وأهم هذه المصطلحات نجد :

1-2 الفهم والتفسير:

اعتمد "غولدمان" في دراساته النقدية على ضابطين منهجين هما "الفهم" Le

" Compréhension"، و"التفسير" " L'explication"

وهما مصطلحان متكاملان، يختلفان من حيث الدلالة، فالفهم « هو الكيفية التي يفهم بها الدارس عناصر النص الأدبي » (رايس، 2002، صفحة 7) فمرحلة الفهم تمثل الحقيقة الكبرى والخطورة الأساس لقراءة أي نص أدبي وغير أدبي وفق المنهج البنيوي الشكلي، فهي تقتصر على فهم النص الأدبي معزولا عن المؤشرات الخارجية، وذلك ب: «تناول النص حرفيا، كل النص ولا شيء سوى النص، وأن نبحت داخله عن بنية شاملة ذات دلالة». (عمراني، 2001، صفحة 41)

وبعد فهم البنيات الدلالية للنص ينتقل الناقد إلى الخطوة الثانية وهي التفسير الذي يعد «إدراج بنية دلالية ضمن أخرى أكبر منها، تكون عنصرا مشاركا في تكوينها بعبارة أخرى هو إنارة البنية الذهنية للنص في ضوء عناصر خارجية». (موسى، 2011، صفحة 238) ويوضح "غولدمان" دلالة الفهم والتفسير في قوله: «الفهم قضية خاصة بالتماسك الداخلي للنص، يفترض تناول النص حرفيا، أما التفسير فهو قضية خاصة بالبحث عن الذات الفردية أو الجماعية» (موسى، 2011، صفحة 239)، ومن هذا لا يمكننا الفصل بين مرحلة الفهم ومرحلة التفسير لأن الأولى تهتم بالبنية الداخلية للنص الأدبي، أما التفسير ينظر إلى العمل الأدبي في مستوى آخر خارجي.

2.2. البنية الدلالية " La Structure Significative"

يعتبر مفهوم "البنية الدلالية" أحد المفاهيم الأساسية التي أرسيت قواعد البنيوية التكوينية، «ولا تكون البنية الدلالية حاضرة في فكر جميع أفراد المجموعة البشرية، فإنها لا تتحقق إلا بشكل استثنائي عن طريق الفكر العلمي أو الفلسفي أو عند طريق العمل الاجتماعي». (شحيد، 1980، صفحة 33)

فالبنية الدلالية تعد الأساس لفهم طبيعية الأعمال الأدبية ودلالاتها، فهي تسمح للناقد أن يحدد قيمة الأعمال الفلسفية والجمالية، حيث يكمن هدف البنية الدلالية في الإحاطة وقراءة كل جزئيات النص في ضوء مجموع ذاته. (بختي، 2019، الصفحات 30-33)

كما يرى (غولدمان) أننا لا نستطيع فهم "البنية الدلالية" إلا إذا ربطناها ببنى أوسع كالبنى الذهنية والرؤى الاجتماعية الاقتصادية التي تفرزها حقيقة تاريخية معنية. (شحيد، صفحة 35)

يحقق مفهوم "البنية الدالة" هدفين: الأول يتمثل في فهم الأعمال الأدبية من طبيعتها ثم الكشف عن دلالاتها. أما الثاني يتمثل في الحكم على القيم الفلسفية والأدبية والجمالية، فعلى الباحث أن يبحث عن البنية التي تشمل كلية النص لكي يفهم العمل الأدبي الذي هو بصدد دراسته.

3.2 الوعي القائم والوعي الممكن:

صنف (غولدمان) الوعي إلى مستويات وخص بذلك الوعي القائم والوعي الزائف، والوعي الممكن.

أ- الوعي القائم " La Conscience réelle ":

يطلق عليه مصطلح الوعي الفعلي أو الوعي الواقع، و «هو وعي أنني لحظي من الممكن أن يعي مشاكله التي يعيشها لكنه لا يملك لنفسه حلولا في مواجهتها والعمل على تجاوزها»؛ (رايس، 2002، صفحة 5) والمقصود بهذا أن الوعي مرتبط بالمشاكل والظروف التي يعيشها الفرد من خلال واقعه المحيط به.

لهذا فالوعي مرتبط بمشاكل الطبقة الاجتماعية من ظروف اقتصادية واجتماعية وعقائدية، فهو يسعى إلى تغيير كل وضع غير مناسب بالمجتمع، فكل واقعة اجتماعية هي عبارة عن وعي.

ب- الوعي الممكن " La Conscience Possible ":

يعتبر الوعي الممكن وعيا متطورا عن المستوى الأول - الوعي القائم وأكثر عمقا منه لهذا فهو «ذلك الوعي المتطور عن الوعي القائم ذو الملامح السكونية السالبة التابعة لتداعيات أحداث عالم الواقع الراهن المتحكم في سيرورة تفاعل الطبقات الاجتماعية» (بحري، صفحة 57) ومن هذا فالوعي الممكن ينشأ عن ملابسات الوعي القائم ويحاول

تجاوزه، وذلك من خلال سعيه على تجاوز العوائق والمشاكل التي تصيب الطبقة الاجتماعية. وذلك باقتراح حلول جذرية تساعد على حل المشاكل التي تُعاني منها المجتمع

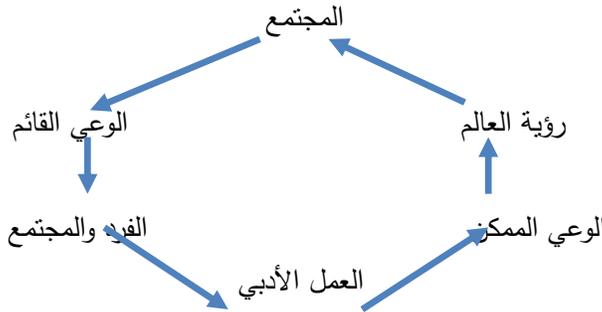
2-4 رؤية العالم " Vision du monde " :

"رؤية العالم" من أهم المصطلحات الإجرائية للبنيوية التكوينية، والتي اعتمدها (لوسيان غولدمان) كإجراء أساسي في مقارنته للنصوص الأدبية وعلى هذا الأساس رؤية العالم هي «وجهة نظر ملتزمة وموحدة حول مجموع الواقع، إلا أنّ فكر الأشخاص باستثناءات محدودة قلما يكون ملتحما وموحداً» (بوعلي، صفحة 5) وعليه فإن رؤية العالم هي الكيفية التي ينظر بها المبدع سواء كان شاعرا أو روائيا إلى الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، وذلك لتحديد مجمل الأفكار التي تحملها الطبقات الاجتماعية لتحديد واقعها ورسم مسار مستقبلها.

وتعد رؤية العالم «وصفاً لذلك الجانب الذي تقوم به جماعة ما في الإطار الشمولي». (بولور، صفحة 40) وهذا يدل على أنّ العامل الأساس لتكوين هذه الرؤى هي الجماعة . وعليه فإن هذه الفكرة تحدد مدى التوازن والتلاحم بين الفرد والمجتمع والعنصر الأدبي الذي يعبر عن تطلعات المجتمع. وهذا يقوم على مدى إدراك المبدع للمشاكل التي تسود داخل المجتمع الذي ينتمي إليه.

و من خلال المصطلحات الإجرائية التي حددها "غولدمان" تحدد العلاقة التكاملية

بين عناصر البنيوية التكوينية من خلال الشكل الآتي:



يحصّر "غولدمان" علاقات هذه العناصر على نحو تسلسلي يتصاعد تدريجياً من مرحلة لأخرى إلى غاية تحقيق رؤية العالم. التي تتشكل عبر مرحلتي الوعي القائم والوعي الممكن، فالوعي القائم يعني وعي الذات فالوعي القائم يعني وعي الذات (الفرد) بالمشاكل التي يعيشها الواقع (المجتمع)، وصولاً إلى مرحلة الوعي الممكن الذي يرتبط بالحلول الجذرية التي تطرحها الطبقة الاجتماعية لتجاوز مشكلاتها. هذا الوعي يشكل لنا رؤية متماسكة مع نفسها، بحيث تعبر عن تطلعاتها الأفراد الاجتماعية

3) مبادئ وأسس البنيوية التكوينية:

تقوم البنيوية التكوينية حسب "لوسيان غولدمان" على مجموعة من الأسس والمبادئ

وهي:

- لا ينظر إلى العمل الأدبي باعتباره مجرد انعكاس بسيط لوعي جمعي بل اعتباره عالماً رمزياً من إبداع الجماعة المتمثلة في شخصية المبدع، ولها رؤية مشتركة تجاه العالم.
- سيرة الأديب تؤثر على العمل الأدبي تأثيراً نسبياً وليس مطلقاً، لأن المبدع حسب "غولدمان" لا ينقل تجربته فحسب بل ينقل طموح المجتمع الذي ينتمي إليه.
- تسعى البنيوية التكوينية إلى الكشف عن البنية الدلالية للنص.
- ضرورة ربط العمل الأدبي بسياقه، وهنا يتم الكشف عن أهمية العمل وإلهامه.
- يتماهى المبدع مع الرؤى العالم، سواء كانت إيجابية أو سلبية. (فرفار، 2014-2015، الصفحات 24-27) :

3. تحليل النص الشعري بمنظور البنيوية التكوينية :

يكون تحليل النص الأدبي بمنظور البنيوية التكوينية وفق آليات تربط النص بواقعه الاجتماعي؛ أي دراسة العلاقة بين الحياة الاجتماعية والإبداع الفني الأدبي، وهو ما سنقوم به في تحليل شعر السمؤال.

يعد السمؤال شاعراً من الشعراء الذين ذاع صيتهم في العصر الجاهلي؛ وهو شاعر يهودي حكيم عاش في النصف الأول من القرن السادس عشر؛ وهو سيد من سادة يهود الحجاز، ومن أثريائهم وملاكهم، اشتهر بشعره المليء بالحكمة والقيم الأخلاقية فقد كان

يحمل في طيات كلماته ما يوافق الحق في مضامينه وما يضيء نفس المرء بإشراقات توجيهية تدفعه نحو الخير، وهو يعبر عن حقيقة حياته فأقوال الحكماء مثله تمثل حضارة المجتمع في ذلك العصر فالحكمة كانت تدل على معرفة الشخص بالحياة ووقوفه على طرقها المستقيمة التي تهدي إلى سبيل الرشاد. (ديوانا عروة بن الورد والسموأل، 1980)"

4. 1. الحقول الدلالية في شعر السموأل:

أ- الرزق الحلال و الرزق الحرام:

اهتم الشاعر من خلال قصائده بنظرية محورية في حياة الإنسان سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية و جاء ذلك واضحا في مواضع شعره .

فنجده قد اهتم بموضوع الكسب في قوله **يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيلُ مِنَ الرِّزْقِ** دلالة على إن الكسب الحلال هو الذي يرفع من شأن صاحبه و قوله أيضا * **وَلَا يَنْفَعُ الكَثِيرُ الخَبِيثُ** دلالة على ان الرزق الحرام لا ينفع و إن كثر .

و قد تعددت المفردات الدينية في شعره التي نحمل دلالات في فحواها عبرا و حكما في تحصيل الأرزاق في قوله

و أتنتني الأنباء عن ملك داود ..فقرت نفسي به و رضيت

تناول السموأل أيضا قضية الحياة و الموت ووظفها في مواقع عديدة من شعره حيث صاغها بدلالات مختلفة فقد وطف فكرة حياة الإنسان وربطها بمنظور ديني في قوله :

نطفة ما منيت يوم منيت ..أمرت أمرها و فيها بريت

كذلك جاء ببيت أخر تناول فيه بداية حياة الإنسان و حتمية موته في قوله :

ميت دهر قد كنت ما حييت ..و حياتي رهن بأن سأموت

فإقرار الشاعر بفكرة الموت و الحياة دلالة على استيعابه للدورة الكونية للإنسان من حياته إلى موته .

الشجاعة والفروسية : القوة من العوامل الرئيسية التي قامت عليها المجتمعات العربية فلها شأن في يسط النفوذ و السيطرة على مجرى حياة الآخرين و هذا ما جعل شاعرنا يتقنن و يتغنى بمختلف أنواع الأسلحة و القتال في شعره فلقد أشار إليها بمختلف

الألفاظ الدالة عليها مثل (قتال. جيش. دروع...) فقد اعتبر الشجاعة و القوة من أهم خصال المحارب فقال :

إنا لنا فحمة ملممة * تقوي العدو و السهام و اللهب

فقوله دلالة على قوة و عظمة الجيش و شجاعة محاربيه .

الكرم و حسن الضيافة: الكرم و الضيافة من أهم الصفات التي يتحلى بها و حرص عليها الإنسان العربي القديم فالسموال حث على هذه الأخلاق و اعتبرها ضرورة من ضروريات قيام المجتمعات .و كان حريصا على مسألة إكرام و استقبال الضيف في قوله :

إِذَا سَيِّدٌ مِّنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ * * * قَوْلٌ لِّمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولٌ.

ففي كلام الشاعر دلالة واضحة على أن الكرم صفة متجذرة في كل نفس عربية أبية فهو عندهم أفعال لا أقوال .

ب- الفهم و التفسير

ب- 1- القيم الاخلاقية: قد اهتم السموال بهذا الموضوع كثيرا في شعره، و

نستطيع القول أن شعره مبني عليها

و من أهم الصفات التي اشتهر بها -الوفاء- حيث أنه يضرب به المثل، فقالوا:

«أوفى من السموال». و سبب ذلك قصته مع امرئ القيس حيث قال:

وفيت بأدع الكندي إني ●●● إذا ما خان أقوام وفيت.

وقالوا: أنه كنز رغب ●●● فلا والله أعدر ما مشيت.

فمن أنبل الشمائل الإنسانية أن يكون الإنسان وفيا بوعده بارا بما أخذ على عاتقه ولو كلفه مشقة وعناء. فالشاعر هنا يعكس وعيه وفهمه من « خلال الكيفية التي يحس فيها وينظر فيها إلى واقع معين». (العدوان، صفحة 6) فالسموال اختار التضحية بابنه ليحافظ على الأمانة والعهد، فهذا الرد والتصرف الذي قام به الشاعر ناتج عن وعيه ببيئته الاجتماعية التي ينتمي إليها التي تقدر الوفاء بالعهود. فهو يعبر عن وعي الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها .

ب- 2- الموت و الحياة: وعي الشاعر لحقيقة الموت تجلى في شعره اكثر من

إدراكه لمعنى الحياة فقد أيقن أن الموت حتمية لا بد منها وان الخلود شيء مستحيل فوعي

الفردى بالموت والحياة لدى "السموال" أدى به إلى تناول موضوع الفناء والخلق والبعث .

ج- الوعي الممكن و الوعي القائم :

الموت حتمية لايد منها في وعي لشاعر فهو قدر لا يمكن أن يسلم منه مخلوق على ظهر الدنيا، يقول:

أسلم سلمت ولا سليم البلى ●●● ففي الرجال ذوو القوي ففانيت.

كيف السلامة إن أردت سلامة ●●● والموت يطلبنى ولست أفوت.

فالشاعر لم ينتظر ساعة الرحيل بل دفعه الأمل بالحياة وحب البقاء إلى البحث عن منافذ خلود بديلة بما أنّ خلود الجسد مستحيل. فوجد ضالته من خلال « الاختيار الأخلاقي الذي يضمن له الخلود المعنوي عن طريق الوجود في القيم». (الزين، 2017-2018، صفحة 29) مما جعله يبحث عن ملونات شخصية الرجل المثال الذي يتوافق مع بيئته ومجتمعه.

فقد عرف السموأل بفعل الخير و مساعدة الناس حتى وان كان عدوه فهو يتعمد البحث عن الخلود المعنوي من خلال المثل و القيم التي كان يأتيها من جاهليته لتخلده ابد الدهر .

د- رؤية العالم :

يشير مصطلح رؤية العالم إلى علاقة العمل الأدبي بالواقع أو الطبقة الاجتماعية، بمعنى أن ينطلق الشاعر من العوامل المحيطة به وواقعه المعيش من ظروف اجتماعية سياسية وحتى اقتصادية فيجسدّ رؤيته اتجاها في عمله الأدبي. وهذا ما يجسدّ علاقته بمجتمعه ووعيه لما يجري حوله وكشف ما يخص المجتمع وما يخفى على الآخرين، وهذا لا يعني أنه يعكس الواقع أو يؤرخه ولكن لايد أن يحمل نصه رؤية مستقبلية تستطيع بها تغيير واقعه.

ف "رؤية العالم" تتبلور من خلال « مجموعة من التطلعات، المشاعر والأفكار التي تجمع بين أعضاء المجموعة الواحدة وتعارضها مع المجموعات الأخرى » (النويهي، صفحة 85). فالشاعر يضع رؤية جديدة لكل ما يدور في مجتمعه وقد كان شعر السموأل يعبر عن فكرة وبالتالي يعبر عن فكر الشعب الذي ينتمي إليه، ومن هنا استمدّ رؤيته للأمور التي ذكرها في شعره.

فكانت رؤيته اتجاه فضيلة الكرم هي إبقاء الصبب الحسن بين الناس فجعله ذلك معطاءً كريماً في قوله:

" وما أهدت نارا لنا دون طارقٍ *** ولا دمنّا في النارين نزيلُ ".
• رؤيته للشجاعة:

الشجاعة في شعر السموأل هي انعكاس لرؤيته عن القوة والبطولة فهو يرى أن الشجاعة إحدى أشكال الإرادة والكمال يقول:

وأسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ *** بها من قراعِ الدارين قلولُ
• رؤيته للظروف الاجتماعية:

تعددت رؤى الشاعر الاجتماعية فقد رأى ما كان سائداً في مجتمعه من يتامى وقرءاء وضعفاء يقول:

رأيتُ اليتامى لا يسدُّ فقورهُمُ *** قرانا لهم في كلِّ قعبٍ مشعبٍ .

فهذه النظرة الاجتماعية وجبت عليه مساعدة هذه الفئة فدعا قومه إلى مساعدتهم والتكفل بهم لأنه كريم ولا يجوع عنده أحد يقول:

فقلت لعبدنا: أريحا عليهم سأجعل بيتي مثل آخر مغرب .

فرؤية السموأل لطبيعة الحياة وتقلبها وأن الدهر يتغير بتغير أحداثه رؤية واعية لإنسان حكيم وواع بما يجري حوله

• رؤيته للموت و الحياة :

فرؤية السموأل إلى الموت رؤية تقرُّ بحتميته، وأنه لا بدّ منه مهما تعددت معتقدات الإنسان فهو مادام حيا فالموت ملازم له في حياته يلاحقه يقول:

كيف السلامة إن أردت سلامةً *** والموت يطئني ولست أفت .

فالشاعر يبحث عن أمور تضمن له البقاء والديمومة حتى وراء الموت، كما أن رؤية الشاعر إزاء هذا المصير المحتوم صدر عن إحساس مسته في أقرب الناس إليه وهو ابنه. فرؤيته هي أن في حياته موت وفي موته حياة.

فإقراره بحتمية الموت تكسبه قوة وشجاعة وخلوداً. فالشجاع هو من يدنو من الموت ولا يتراجع. ورؤيته لا تخرج عن رؤية الشجعان ولا المؤمنين بقضاء الله وقدره.

• رؤيته للرزق :

جعل الشاعر رؤيته واضحة في هذا الموضوع فهو يطلب ويحث على كسب الرزق الحلال ويذم الحرام، واستمد هذه الرؤية من التربية التي نشأ عليها في مجتمعه لا على الدين. وقد سعى أن يجعل رزقه كسباً حلالاً يجنه من تعبه، ويبتعد عن كل الممارسات غير الأخلاقية المناهية للقيم يقول:

فَاجْعَلِ الرِّزْقَ فِي الْحَلَالِ مِنَ الْكَسَدِ * * * بِ وَبِرّاً سَرِيرَتِي مَا حَبِيثٌ

• رؤيته للوفاء:

كان للوفاء حضوة في نفس الشاعر عن المال والولد، فالسموأل برغم من جاهليته وديانته إلا أنه عرف أنّ من طباع العرب حفظ الأمانات وهو طابعٌ ليس بسهل تأديته. فهو لم يخرج عن هذه القيم بل تبناها وضحى لها بقربان كي لا يخرج عن رؤية المجتمع ولا تخرج رؤية المجتمع عنه فيقال له غدار وهي وصمة عار تبقى مع الإنسان وتتعارض مع قوانين قبيلته.

لقد أصبح ابنه معادلاً موضوعياً لقيم الوفاء فلكي تبقى القيم لا بد من التضحية بابنه، وهذه الرؤيا يعجز الآخرون الإتيان بها لأن في حياة ابنه موت لقيم المجتمع، والشاعر في عرف العرب هو مرآة المجتمع.

فنظرته للوفاء ورؤيته للعالم المحيط به جعلته يخلد إلى يومنا هذا، فقد خلد التاريخ وخلدته قيم المجتمع وجعله مثلاً يقتدي به. يقول الأعشى:

كن كالسموأل إذا سار الهمام به * * * في جَحْفَلِ كَسْوَاءِ اللَّيْلِ جَرَارِ

• رؤيته للانتماء:

كان تعبير السموأل عن انتمائه وأفكاره ومشاعره اتجاه قومه واضحاً في إبداعاته الشعرية ف «الانتماء ظاهرة إنسانية توجد بقوة بوجود الإنسان نفسه وتتنوع بتنوع الروابط التي تشد بعض الناس إلى بعض الآخر وتميز بعض الناس عن غيرهم». (سليم، صفحة 89) فرؤية السموأل للعالم في قضية الانتماء: هي أن الفخر بالذات هو الفخر بالجماعة والفخر بالجماعة هو الفخر بالذات .

ففي رؤيته للانتماء نسبته هو الذي مَنحه هذه المنزلة العالية، فقد كان يفتخر بقبيلته، يسعد بسعادتها ويحزن لتعاستها، فقد أحسَّ بمسؤوليته الخاصة في نصرِّ عصبته والدفاع عنها.

يقول:

نَسَلِي إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنَهُمْ * فَلَيْسَ سِوَاءَ عَالَمٍ وَجْهٍ

تنوعت رؤى الشاعر من خلال الموضوعات التي جاء بها شعره، وهذا الا دليلاً على زاده الثقافي والفكري الواسع الذي غَدَى تَجْرِبَتَهُ وَعَمَقَ رُؤْيَتَهُ للمجتمع والإنسان. فرغبته جاءت واضحة في تطوير مجتمعه وتغيير ما فيه وإبقاء على أسسه ف «الشاعر لا يمكن أن يكون شاعراً عظيماً إلا إذا اهتم بزيادة نصيب الناس من السعادة أو تحرير المضطهدين أو توسيع قدرتنا على التعاطف بعضنا مع بعض» (النويهي، 1964، صفحة 85). فعلاقة الشاعر بمجتمعه علاقة تفاعلية يتأثر بالمجتمع وأحداثه ويتفاعل معه مما يزيد من إحساسه بما يدور فيه.

5. خاتمة:

ومن هذا يمكننا القول بأن المنهج البيئوي التكويني لـ لوسيان غولدمان -جاء لإعادة الاعتبار للنص الأدبي بدون عزله عن علاقاته الخارجية المرتبطة به، لما فيه من توافق بين النص والمجتمع وتأثير الواقع والمحيط في كتابات وأعمال شعر المبدع. وهذا ما وجدناه في شعر السمو أَل فشعره لم يكن انعكاساً أو مرآة للواقع فقط، بل جاء يحمل رؤية و نظرة لتغييره.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- ديوانا عروة بن الورد والسموأل: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980م.
- أنور عبد الحميد موسى: علم الاجتماع الأدبي (منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، (د.ط)، 2011م.
- لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.

المجلات:

شعر السموأل بمنظور البنيوية التكوينية

- مجلة المعرفة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، العددان: 225 – 226، نوفمبر، ديسمبر، 1980م.

أ. الأطروحات.

- أمال فرفار: متاهات النص وجدلية الخطابات في رسالة" الصاهل والشاحج" لأبي علاء المعري، دراسة بنيوية تكوينية، أطروحة دكتوراه (مخطوطة) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2014م، 2015م.
- محمد الأمين بحري: رؤية العالم في ثلاثية أحلام مستغانمي الروائية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2003م، 2004م.
- مصطفى عمراني: مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي " روايات غسان كنفاني نموذجاً"، أطروحة دكتوراه: (مخطوطة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهرز، فاس، المغرب، 2001م، 2002م.

ب. المقالات:

- كمال رايس، البنيوية التكوينية في النقد الأدبي. (محاضرة أقيمت ضمن ندوات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة فيفري 2018م)